الى شعر فوزي المعلوف الذي يتململ فيه هذا القلق بصورة أشد وضوحاً . وليست قصيدته الطويلة « شاعر في طائرة » سوى انعكاس حيرته وقلقه عبر اصطدامه بتناقضات النفس وحدود الذات والعطش الى المطلق .

والتكلم عن فوزي المعلوف الذي نظم في البرازيل وتوارى وهو في ريعان العمر يدفعنا الى التكلم ، ولو بشكل خاطف ، عن «الشعر المهجري» الذي يدخل في صلب الوثبة الشعرية اللبنانية . لقد ازدهر الادب العربي اللبناني في المهجر ، وخاصة في الاميركتين ، ازدهاراً ملحوظاً ، ولعبت « الرابطة القلمية » في الولايات المتحدة و « العصبة الاندلسية » في البرازيل دوراً هاماً فأغنت الادب واكسبته الواناً جديدة . وكان الشعر اساس هاتين الحركتين المهجريتين ، او بالاحرى العنصر البارز في انتاجهما ، فكان لنا جبران وميخائيل نعيمه (في النصف الاول من انتاجه) وايليا ابو ماضي ورشيد سليم الخوري (او الشاعر القروي) ، وكان لنا فوزي المعلوف وشفيق المعلوف وعقل الجر ..

قد لا يكون من المناسب ان نضع جبران خليل جبران في عداد الشعراء ، رغم ان مؤلفاته تنطوي كلها على شاعرية عميقة وعلى قوة خارقة لالتقاط الجمال وتسجيله والغوص الى كنه العاطفة واستخراجها . فهو شاعر في نثره ، وشاعر في تصويره وشاعر في فلسفته وخياله والرؤى المزدحمة في محاولاته ، ولكن الشاعرية خانته عندما تعاطى القريض ، وها هي « المواكب » ترتكز على المواعظ والحكم والتفكير الاجتماعي اكثر منها على الحالات النفسية والموسيقى الضمنية .

في حين ان منظومات ايليا ابو ماضي وعقل الجر والشاعر القروي وفوزي المعلوف وشفيق المعلوف تدخل في نطاق النشيد الذي ظلت « المواكب » بعيدة عنه . ويمكننا القول بصورة اجمالية ان الشعر المهجري يمتاز بالحنين الى الوطن الام وبعاطفة الغربة والوحدة والانسحاق في محيط غير ممهود تطغو عليه المادة في اغلب الاحيان ويسوده السعي المحموم وراء الانتاج الاقتصادي والكسب والرفاهية المادية .

غير ان قصائد شفيق المعلوف ، ان في « عبقر » او في «نداء المجاذيف» او « لكل زهرة عبير » تحطم مراراً هذه الاطارات وتندفع نحو الآفاق الرحبة لتصل الى ينابيع الالهام الاساسية التي تجمع بين الاجواء والاوطان والشعوب وتتعدى الزمان والمكان . وفي اعتقادنا ان مؤلفات شفيق المعلوف التي تزال في شرخ امتداداتها تستلزم درساً على حدة ، نظراً لاتصالها الوثيق بمعين الشعر العالمي .

* * *

والآن ، ينبغي ان نتحدث عن الناحية الثانية من الوثبة الشعرية اللبنانية ، وهي الناحية التي تدعى بالرمزية والتي يحمل لواءها سعيد عقل . هنا يجب تبديد شيء من الالتباس دخل في ذهن النقاد والشعراء معاً . لم يحدث في الشعر اللبناني ثورة رمزية بكل معنى الكلمة ، كالتي حدثت في فرنسا مثلاً واخذ عنها اللبنانيون بعض المعطيات .

فالرمزية الصحيحة في فرنسا التي يمثلها « رامبو » و « مالارمه » هي ثورة جذرية على المعنى والمبنى معاً ، على المضمون وأداء المضمون . اراد الرمزيون اولاً ان ينسفوا الاسوار التي يصطدم بها الخيال وتقف عندها العاطفة وكأنها مسجونة ، وما هذه الاسوار الا حدود الانسان العاجز عن تحقيق ذاته ، حدود معرفته النسبية وحبه النسبي ومقدرته النسبية ، بينما هو يتوق الى المطلق . لذلك تعمدوا شحذ قريحتهم عن طريق ارهاف الحواس والغوص الى كنه الاشياء والانقذاف الى ما وراء الوقائع والمرئيات .

واراد الرمزيون ثانياً اعادة تكوين العالم ، او خلق عالم جديد يحل

أطلق رجاءً جديداً

في مقلتيك عذابُ
وفي خطاك اضطرابُ
قد كان فيك شبابُ ،
وكان فيك اتقادُ !
هل نال منك اضطهاد ؟
فقلت هذا جهاد
لم يُجنَ منه حصاد ،
كالحلم لاح وولى
مثل السراب اضمحلا !

* * *

انا حرقنا الضحايا ... يضج فيها الضياء
انا جبهنا المنايا ... ولم يهلنا الفناء
فهل تخال الدماءَ ... حقاً تغور هباءَ
لا ! فالدماء ستزكو ... حريةً زهراءَ
ان كان خاب جهاد ... فلا تهن يا صديقي
أيّ الجهاد ورودُ ... على ترامي الطريق ؟
جهادنا ، انت أدرى ، ... صخرٌ وشوك كثير
والموت عن جانبيه ... لكننا سنسير !
الشعب ما مات يوماً ... وإنه لن يموتا
يفوته اليوم نصر ... وفي غدٍ لن يفوتا
وعالم الغد رحب ... وأفقه آمال
اشمخ اليه فيجلى ... قنوطك القتّال
أطلق رجاءً جديداً ،
تعال ننشد نشيدا
يمضي صداه بعيدا :
عدونا يستبد
واننا نستعد !
والنصر ما منه بد !
وسوف نزأر بعدُ !
كزأرة الغيظ قبلا
أعلى فأعلى فأعلى !

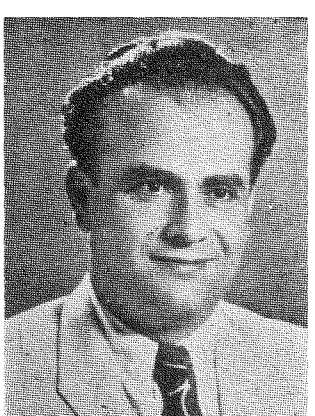

رئيف خوري